عسى ألاّ أكون بدعاء ربّى شقيّا : عسى هذه موجبةٌ لا محالة فإنّه عليه السّلام سيّد الأنبياء بعد محمّدٍ ﷺ(١).

وهبنا له إسحاق ويعقوب: يعقوب عليه السّلام هو ابن إسحاق عليه السّلام ابن إبراهيم عليه السّلام. والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى أكرم إبراهيم عليه السّلام بأن وهب جلّ وعلا النّبوّة للابن إسحاق عليه السّلام وللحفيد يعقوب عليه السّلام فى حياة إبراهيم عليه السلام(٢).

وجعلنا لهم لسان صدق عليّا : الثّناء الحسن والذّكر الجميل من النّاس(٣) وإنّما وصف جلّ ثناؤه اللّسان الّذى جعل لهم بالعلوّ لأنّ جميع أهل الملل تحسن الثّناء عليهم(٤).

يأمر السّياق المصطفى ﷺ بأن يذكر لقومه فى الكتاب العزيز إبراهيم عليه السّلام أبا الأنبياء، فكلّ الأنبياء بعده من ذرّيّته عليه الصّلاة والسّلام عن طريق ولديه إسماعيل وإسحاق عليهما الصّلاة والسّلام. لقد كان إبراهيم عليه السّلام صدّيقاً، مبالغاً فى التّصديق وفى الصّدق قولاً واعتقاداً وعملاً، نبيّاً موحىً إليه مجتبىً ضمن كوكبة النّبيّين الكرام، عليهم صلوات الله تعالى وسلامه أجمعين.

واذكر يا محمّد فى القرآن الكريم واتل على قومك حين قال ابراهيم عليه السّلام لأبيه آزر الّذى كان يعبد الأصنام والأوثان الّتى كان ينحت بعضها بيديه وخاطب والده الّذى كان من قومٍ يعبدون النّجوم بالقول اللّطيف والخطاب الرّقيق المصدّر أربع مرّات بالقول : ﴿يا أبتِ﴾ ولا نملك تجاه هذا النّداء المليح إلاّ أن نستذكر النّداء نفسه الّذى جرى على لسان يوسف عليه السّلام الطّفل الصّغير

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٤.

(٢) انظر هنا تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٤.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٠.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٠.

البرىء وهو يقصّ على والـــده يعقوب عليه السّـــلام رؤياه فى أسلوبٍ برىء. قال عزّ من قائل[1] : ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أَبَتِ إنّى رأيت أحد عشر كوكباً والشّمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾.

إنّ إبراهيم عليه السّلام الّذى آتاه الله تعالى رشده من قـبل يتصدّر كلامه لأبيه فى المرّات الأربع بالقول : ﴿يا أبت﴾ علماً بأنّ هذا الأب عريقٌ فى الشّرك عمـيقٌ فى العناد. ولكنّ إبراهيم عليـه الصّلاة والسّـلام هو الّذى نعتـه القرآن الكريم بالحِلْم فى أكثـر من موضعٍ فى الكتاب العزيز. جـاء فى سورة التّوبة[2] قول الحقّ جلّ وعـلا : ﴿إنّ إبراهيم لأوّاهٌ حليم﴾ وجـاء فى سورة هود[3] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿إنّ إبراهيم لحليمٌ أوّاهٌ منيب﴾.

إنّ إبراهيم عليـه السّلام يقول لأبيـه فى المرّة الأولى يا أبت لِمَ تَعْـبُدُ مِن دون الله تعالى ما لا يسـمع، ولو سمع ما استجاب، وما لا يـبصر، ولو أبصر ما هدى، ﴿ولا يغنى عنك شـيئاً﴾ فلا يدفع عنك ضرّا ولا يجـلب لك نفعاً. وإنّ لسان حال إبراهيم عليه السّلام يقول : إنّ المستحقّ للعبادة وحده لا شريك له هو السّميع البصير القدير الفعّال لما يريد.

وفى المرّة الثّانية يبيّن إبراهيم عليه السّلام لأبيه الفضل من الله تعالى على الابن إبراهيم ذلك الفضـل الّذى جعل الابن فى موضع الهـادى للقوم بإذن الله تعالى. إنّ إبراهيم عليه السّلام قـد جاءه من العلم اللّدنّيّ من الله تعالى ما لم يأت الأب آزر. فالمطلوب من الأب الضّالّ أن يتّبع الابن المهتدي كي يقوده إلى الصّراط المستقيم والطّريق السّويّ، بفضل الله تعالى.

وفى المرّة الثّالثة يبيّن إبراهيم عليه السّلام لأبيـه بطريقٍ غير مباشر السّبب فى الفضل العظيم من الله تعالى عليه، فعلى الأب أن يحقّق السّبب كي يتحقّق المسبَّـب وهو الفضل من الله تعـالى بالنّجاة من النّار ودخـول الجنّة. أمّـا ذلك

(١) سورة يوسف ٤.

(٢) الآية ١١٤.

(٣) الآية ٧٥.

السّبب فإنّه عبادة الله تعالى وطاعته وعصيان الشّيطان الرّجيم الكثير العصيان لله تعالى. إنّ إبراهيم عليه السّلام ينهى والده بصريح اللّفظ عن عبادة الشّيطان الكثير العصيان لله تعالى. وحينما لا يعبد آزر الشّيطان الرّجيم ويطيعه يكون قد عبد الله تعالى وأطاعه.

وفى المرّة الرّابعة والأخيرة يبيّن إبراهيم عليه السّلام الحليم الأوّاه المنيب لأبيه العنيد خوفه الشّديد أن يمسّ هذا الأب العنيد عذابٌ أكيدٌ من الله تعالى بسبب إصراره على الشّرك الذّنب الّذى لا يغفره الله تعالى وبذلك يكون آزر وليّاً للشّيطان وقريناً له فى الأولى والآخرة، فى الأولى فى الضّلال البعيد، وفى الآخرة فى العذاب الشّديد.

وبقدر لُطْفِ إبراهيم عليه السّلام فى خطابه والده، عُنْفُ هذا الوالد فى ردّه على إبراهيم عليه السّلام : إنّ هذا الأب لا يجىء على لسانه ذكر اسم ولده فى الجزئيّة الأولى من ردّه إلاّ فى نهاية الكلام : ﴿قال أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم﴾ إنّ الّذى يهتمّ له آزر هو رغبة الابن عن عبادة الآلهة الّتى يعبدها الأب المشرك. ويبنى الأب على استفهامه الإنكاريّ على ابنه الوعيد والتهديد بأنّ إبراهيم إن لم ينته عن الدّعوة إلى التوحيد ونبذ الآلهة الّتى يعبدها آزر وقومه فإنّ آزر سوف يرجمه بالحجارة حتّى الموت. وإنّ آزر ليأمر ابنه بأن يهجر أباه مليّاً ووقتاً طويلاً كي يتدبرّ الأمر ويعود إلى رشده فيكفّ عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وعن ازدراء الأصنام والأوثان.

وإنّ إبراهيم الحليم الأوّاه المنيب يقول لأبيه المصرّ على شركه والصّدّ عن سبيل الله تعالى : سلامٌ عليك منّى وأمنٌ وطمأنينة، سأستغفر لك ربىّ جلّ وعلا حينما تتوب من الشّرك وتفرد الله تعالى بالعبادة. إنّ ربىّ جلّ وعلا كان دائماً وأبداً حفيّاً بى، مكرماً لى، لم يخيّب لى رجاءً، ولم يردّ لي دعاءً.

وقام إبراهيم عليه السّلام بالأمر الّذى ينبغى أن يقوم به وهو اعتزال قومه المشركين واعتزال أصنامهم الّتى يعبدونها من دون الله تعالى. وفى المقابل هو يدعو

ربّه جلّ وعلا ويعبده وحده لا شريك له. إنّه بعبادة الله تعالى لن يكون شقيّاً كأبيه وقومه المشركين بل سعيداً قرير العين.

وبفضل الله تعالى لم يعد إبراهيم عليه السّلام باعتزاله المشركين وما يعبدون من دون الله تعالى وحيداً فريداً بل كثيراً بالله تعالى وبفضله عزّ وجلّ العظيم وخيره العميم. إنّ الله سبحانه وتعالى وهب له إسحاق عليه السّلام الّذى جعله الله تعالى نبيّاً، ووهب له يعقوب بن إسحاق عليهما السّلام، الّذى جعله الله تعالى نبيّاً فى حياة جدّه إبراهيم عليه السّلام. إنّ الله سبحانه وتعالى وهب لهذه الكوكبة من النّبيّين من رحمته، وجعل لهم لسان صدقٍ عليّاً فى الآخرين، وذكراً حسناً رفيعاً على ألسنة النّاس وأتباع كلّ الملل والأديان أجمعين.

قال رسول الله ﷺ فى الحديث المتّفق على صحّته حين سئل عن خير النّاس فقال: يوسف نبيّ الله ابن يعقوب نبيّ الله ابن إسحاق نبيّ الله ابن إبراهيم خليل الله. وفي اللّفظ الآخر: إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٤.

(٤)

« موسى وهارون عليهما السّلام »

الآيات (٥١-٥٣)

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

إنّه كان مخلَصاً : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيّين : ﴿إنّه كان مخلِصا﴾ بكسر اللّام من المخلص. بمعنى أنّه كان يخلص لله العبادة ويفرده بالألوهة من غير أن يجعل له فيها شريكا. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة خلا عاصمٍ : ﴿إنّه كان مخلَصا﴾ بفتح اللّام من مخلص، بمعنى أنّ موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته وجعله نبيّاً مرسلا[1].

وناديناه من جانب الطّور الأيمن : الطّور اسم جبل مخصوص فى شبه جزيرة سيناء[2] ويعنى بالأيمن يمين موسى لأنّ الجبل لا يمين له ولا شمال، وإنّما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها[3].

وقرّبناه نجيّاً : وأدنيناه مناجياً كما يقال : فلان نديم فلان ومنادمه، وجليس فلان ومجالسه[4] عن ابن عبّاس : أُدْني حتّى سمع صريف القلم. وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم، يعنون صريف القلم بكتابة التّوراة[5].

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧١.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «طور» ٣٠٩ و «سين» ٢٥١.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧١.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧١.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٤.

ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيّا : قال ابن عبّاس : كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوّته[1].

واذكر يا محمّد لقومك فى الكتاب العزيز موسى الكليم، عليه الصّلاة وأتمّ التّسليم. إنّه كان مخلَصاً قد اصطفاه جلّ وعلا بالرّسالة واجتباه بالنّبوّة. إنّه أحد أولى العزم الخمسة من الرّسل، وهم نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإنّه أحد المصطَفَيْنَ الأخيار المجتبين بنعمة النبوّة.

وإنّ موسى عليه السّلام كليم الله تعالى قد ناداه ربّه جلّ وعلا من جانب جبل الطّور بشبه جزيرة سيناء يمين موسى عليه السّلام حينما أقبل من مدين ومعه زوجه ابنة شعيب عليه السّلام، فأراد النّار الحسّيّة الّتى أبصرها فوجد النّور المعنويّ الّذى أسعده. وقد قرّبه الله تعالى وأدناه مناجياً حينما كلّمه. وقد وهب الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السّلام من رحمته عزّ وجلّ أخاه هارون نبيّا، وذلك حينما أمره الله تعالى بأن يذهب إلى فرعون مصر الطّاغية ويدعوه إلى عبادة الله تعالى و حده لا شريك له. ومن الآيات الكريمات الّتى تحدّثت فى هذه المعانى قول الحقّ جلّ وعلا فى سورة القَصص[2] : ﴿فلمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطّور ناراً قال لأهله امكثوا إنّى آنست ناراً لعلّى آتيكم منها بخبرٍ أو جذوةٍ من النّار لعلّكم تصطلون. فلمّا أتاها نودي من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشّجرة أن يا موسى إنّى أنا الله ربّ العالمين. وأن ألق عصاك. فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانٌّ ولىّ مدبراً ولم يعقّب. يا موسى أقبل ولا تخف إنّك من الآمنين. اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوءٍ واضمم إليك جناحك من الرَّهْب فذانك برهانان من ربّك إلى فرعون وملئه. إنّهم كانوا قوماً فاسقين. قال ربّ إنىّ قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون. وأخى هارون هو أفصح منّى لساناً فأرسله معيَ ردءاً يصدّقنى. إنىّ أخاف أن يكذّبون. قال سنشدّ عضدك

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧١.

(٢) الآيات ٢٩-٣٥.

بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما. بآياتنا أنتما ومن اتّبعكما الغالبون﴾ وجاء خطاباً لموسى عليه السّلام قول الحق جلّ وعلا في طورة طه[1] : ﴿اذهب إلى فرعون إنّه طغى. قال ربّ اشرح لى صدرى. ويسّر لى أمرى. واحلل عقدةً من لسانى. يفقهوا قولى. واجعل لى وزيرا من أهلى. هارون أخى. اشدد به أزرى. وأشركه فى أمرى. كي نسبّحك كثيراً. ونذكرك كثيراً. إنّك كنت بنا بصيرا. قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾.

(١) الآيات ٢٤-٣٦.

(٥)

« إسماعيل عليه السّلام »

الآيتان (٥٤و٥٥)

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

واذكر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم على قومك إسماعيل عليه السّلام، جدّك، ووالد عرب الحجاز كلّهم[1] والمعروف أنّ محمّد بن عبد الله ﷺ هو النّبيّ الوحيد من ذرّيّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام. أمّا سائر النّبيّين فإنّهم من ذرّيّة إسحاق بن إبراهيم عليهما السّلام. ومن هنا كان إبراهيم عليه السّلام أبا الأنبياء، لأنّ كلّ النّبيّين بعده من ذريّته عليه السّلام عن طريق إسحاق وإسماعيل عليهما السّلام.

ومن أهمّ النّعوت الّتى اتّصف بها إسماعيل عليه السلام صدق الوعد. ونستطيع أن نفهم بداهةً أنّه عليه السّلام كان صادق الوعد مع الله تعالى أوّلاً، ومع عباد الله تعالى تبعاً. وما أعظم الوفاء بالوعد والالتزام بالعهد، وبخاصّةٍ عهد الله تعالى بإفراده عزّ وجلّ بالعبادة.

وكان إسماعيل عليه السّلام رسولاً ونبيّاً. ومن المعروف أنّ نعمتي الرّسالة والنّبوّة محض فضلٍ من الله تعالى، وأنّ نعمة النّبوّة هي الطّريق الوحيد لنعمة الرّسالة الّتى تعتبر كبرى النّعم من الله تعالى على أي عبدٍ من عباده عزّ وجلّ. ومن هنا كان كلّ رسولٍ نبيّاً، ولا ينعكس الأمر.

ومن أهم المظاهر الّتى تجلّى فيها صدق الوعد مع الله تعالى إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. كان إسماعيل عليه السّلام يأمر أهله بالصّلاة والزّكاة. وحينما يأمر الإنسان أهله بخير يكون سبّاقاً فى العادة إليه. فكيف إذا كنّا أمام واحدٍ من رسل الله تعالى إسماعيل عليه السّلام. إنّه عليه

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٥.

السّلام يأمر أهله بإقام الصّلاة أهمّ الأركان فى مجال العبادات بعد توحيد الله تعالى. وإنّه عليه السّلام يأمر أهله بإيتاء الزّكاة بعد أن يقوم هو بإيتائها مستحقّيها. والمعروف أنّ الزّكاة أهم الأركان فى مجال المال وتقترن عادةً بالصّلاة. والمعروف أنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأنّها اقترنت فى القرآن الكريم بالزّكاة فى أكثر من ثمانين موضعاً، دليلاً على أهمّيّة كلٍّ من الصّلاة عماد الدّين، والزّكاة بمعنى الطّهارة والنّماء.

وكانت الثّمرة اليانعة الشّهيّة للنّعوت الّتى تحلّى بها إسماعيل عليه السّلام أن رضي الله تعالى عنه، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام عند ربّه جلّ وعلا مرضيّا.

وحينما ننظر إلى النّعوت الّتى اتّسم بها إسماعيل عليه السّلام أبو العرب نستطيع أن نتبيّن أنّا نعوتٌ مشتركة بين سائر النّبيّين عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، ولكنّ ثمّة نعتاً بعينه يكاد يكون النّعت الّذى كان حظّ إسماعيل عليه السّلام منه موفوراً، وقد قال عز من قائل[1]: ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض﴾ إنّ المرسلين سواءٌ فى نعمة الرّسالة، وقد خصّ الله تعالى بعضهم بشيءٍ من التفضيل فى بعض النّعوت، فموسى عليه السّلام كليم الله تعالى، وعيسى عليه السّلام آتاه الله تعالى الآيات البيّنات، ومحمّد ﷺ رفعه الله تعالى درجات. وهكذا. ويبدو أنّ النّعت الّذى كان بارزاً فى حقّ إسماعيل عليه السّلام هو الصّدق فى الوعد، وبخاصّةٍ مع الله تعالى. ولمّا كان إسماعيل عليه السّلام أبا العرب، فما أحرى الأبناء أن يتحلّوا بهذا النّعت الّذى اتّسم به والدهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام، والّذى اتّسم به سلفهم الصّالح، فقد كانوا مصابيح الدّجى وقرّة عين الهدى.

---

(١) سورة البقرة ٢٥٣.

(٦)

« إدريس عليه السّلام
وبقيّة المنعم عليهم »

الآيات (٥٦-٥٨)

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

إدريس : جاء فى الصّحيح أنّ رسول الله ﷺ مرّ بإدريس عليه السّلام فى ليلة الإسراء وهو فى السّماء الرّابعة(١).

مكاناً عليّا : مكاناً ذا علوّ وارتفاع(٢).

وبكيّا : وهم باكون. والبُكيّ جمع باك، كما العِتيّ جمع عات، والجثيّ جمع جاث. فجمع وهو فاعل على فعول كما يجمع القاعد قعوداً والجالس جلوسا(٣).

واذكر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم فى الكتاب العزيز إدريس عليه السّلام. إنّه كان مبالغاً فى الصّدق قولاً وعملاً واعتقادا، وكان نبيّا، أكرمه الله تعالى بنعمة النّبوة. وقد رفعه الله تعالى مكاناً بالغ العلوّ. فعلى سبيل المثال، حينما عُرِج بالمصطفى ﷺ إلى السّماوات العلى ليلة الإسراء والمعراج، مرّ عليه الصّلاة والسّلام بإدريس عليه السّلام فى السّماء الرّابعة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٦ وانظر صحيح مسلم ٢/ ٢١٣.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٢.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٣.

إنّ أولئك المذكورين فى هذه السّورة الكريمة من المنعم عليهم وغير المذكورين فى هذه السّورة الكـريمة، مَنْ قصّ الله تعالى فى القرآن الكـريم ومَنْ لم يقصص، هم الّذين أنعم الله تعالى عليهم وأسبغ عليهم نعمه الظّاهرة والباطنة، وأعلى النّعم وأغلاها نعمة النّبوّة المفضية إلى نعمة الرّسالة، أعلى النّعم على الإطلاق.

وهؤلاء المنعم عليهم المذكورون فى هذه السّورة الكريمة وغير المذكورين، هم من ذرّيّة آدم عليه السّلام أبى البشر. ومن هؤلاء إدريس عليه السّلام. وهم كذلك من ذرّيّة من حمل الله تعالى فى السفينة مع نوحٍ عليه السّلام. ومن هؤلاء إبراهيم عليه السّـلام أبو الأنبياء. وهم كذلك من ذرّيّة إبراهيم عليـه السّلام. ومن هؤلاء إسمـاعيل وإسحـاق ويعقوب. وهم كـذلك من ذرّيّة إسرائيل، وهو يعقـوب عليه السّلام ابن إسحاق بن إبراهيم عليهما السّلام[1] ومن هؤلاء موسى وهارون وزكريّا وعـيسى وأمّـه مريم. وهـم كذلك من ذرّيّة من هـدى الله تعالى إلى الصّـراط المستقيم واصطفاه بنعمتي النّبـوّة والرّسـالة. والمعروف أنّ محمّد بن عبد الله ﷺ، أشرف الأنبياء والمرسلين، هو من ذرّيّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام.

إنّ هؤلاء المنعم عليـهم المصطفين الأخـيـار إذا تُتْلَى عليـهم آيات الرّحـمن الرّحيم والرّبّ العظيم خـرّوا سجّداً على وجـوههم خضوعاً لله تعـالى واستكانة، باكين لفرط خشـوعهم واستشعارهم عظمـة الله تعالى الّذى تعنو له الوجوه وتذلّ الرّقاب سبحانه.

---

(١) الجـــلالين.

(٧)

«كلّ النّاس يعبرون الصّراط الممدود على جهنم فيدخل المنعم عليهم الجنّة ويهوى المغضوب عليهم فى النّار »

الآيات (٥٩-٧٢)

فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ

خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾

فخلف من بعدهم خلف : الخَلْف بسكون اللّام هو المتأخّر لقصور منزلته، والخَلَف بفتح اللّام هو المتأخّر لا لقصور منزلته[1].

فسوف يلقون غيّا : خسراناً [2] وشرّاً[3] وعذاباً[4].

بعد حديث السّورة الكريمة فى شقها الأوّل عن المنعم عليهم من النّبيّين والصّدّيقين يتحوّل الحديث إلى المغضوب عليهم فى شقّ السّورة الكريمة الثّانى. ويتجلّى انحراف المغضوب عليهم عن الصراط المستقيم أوّل الأمر فى إضاعة الصّلوات واتّباع الشّهوات. وحينما يجىء فى القرآن الكريم قول الحقّ جلّ وعلا[5] : ﴿اُتْلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصّلاة. إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولذكر الله أكبر. والله يعلم ما تصنعون﴾ يكون اتّباع المغضوب عليهم شهوات النّفس والبطن والفرج ثمرةً طبيعية نكدة لإضاعة الصّلوات بتأخيرها عن وقتها، أو التّفريط فى بعض واجباتها، أو تركها بالكلّيّة. إنّ أولئك سوف يلقون يوم القيامة غيّاً وشرّاً، عذاباً وخسراناً.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «خلف» ١٥٥.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٦.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٦.

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «غوى» ٣٦٩.

(٥) سورة العنكبوت ٤٥.

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

إنّه كان وعده مأتيّا : يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الّذين يدخلهموها الله[1].

يستثنى السّياق من الخسران المبين أولئك الّذين تابوا إلى الله تعالى توبةً نصوحاً فتركوا الشّهوات وأقاموا الصّلوات فى أوقاتها بجميع أركانها وواجباتها وسننها. وبالاضافة للتّوبة النّصوح هم آمنوا بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ إيماناً راسخاً وعملوا الصّالحات. إنّ أولئك يقبل الله تعالى توبتهم إن شاء، ويبدّل سيّئاتهم حسنات، ويدخلهم جنّات النّعيم، ولا يُظلمون شيئاً بحذف حسنة أو إضافة سيّئة. وهي جنّات عدن، وبساتين إقامةٍ دائمة، الّتى وعد الرّحمن البرّ الرّحيم عباده المتّقين بالغيب، فهم يؤمنون بالجنّة قبل أن يروها، لأنّ ذلك جزءٌ من مطلق الإيمان بالغيب الّذى اتصفوا به. إنّ وعد الله تعالى بدخول المتقين الجنّة كان وعداً مأتيّا يأتيه أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثقةً فى وعد الصّدق، واطمئناناً إلى ثواب الحقّ.

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٦.

وهؤلاء المتّقون لا يسمعون فى الجنّة لغو القول وباطله، لكن يسمعون السّلام الدّائم من الملائكة الأطهار الّذين يدخلون عليهم من كلّ باب، ويلقون عليهم القول : ﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار﴾[1] ولهذا السّلام أكبر الأثر وأحسنه بشأن السّلامة والأمن والطمأنينة الّتى ترفرف على أولئك المتّقين فى جنّات النعيم، والّذين ينالون رزقهم الّذى يشتهون فى كلّ الأوقات الّتى رمز السّياق لها بالبكرة والعشيّ، فليس فى الجنّة ليلٌ ونهار. إنّ الجنّة الّتى تلك صفتها هي الّتى يورثها الله تعالى المتّقين من عباده عزّ وجلّ، الّذين يعبدون الله تعالى كأنّهم يرونه جلّ وعلا.

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾
رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

روى الإمام أحمد عن ابن عبّاسٍ قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا؟ قال : فنزلت : ﴿وما نتنزّل إلاّ بأمر ربّك﴾ إلى آخر الآية. انفرد بإخراجه البخارى[2].

له ما بين أيدينا وما خلفنا : عن ابن عبّاس بين أيدينا الآخرة، وما خلفنا

(١) سورة الرّعد ٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٠.

مـــن الدّنيا[1].

وما بين ذلك : ما بين الدّنيا والآخرة[2] وما بين النفختين[3].

وما كـان ربّك نسـيّا : ولـــم يكن ربّـــك ذا نسـيانٍ فيتـأخّر نزولى إليك بنسيانه إيّاك[4].

واصطبر لعبادته : واصبر نفسك على النّفوذ لأمره ونهيه والعمل بطاعته تفز برضاه عنك[5].

سميّا : عن ابن عبّاس : شبيها[6].

فى ضـــوء مـا جاء فى ســـبب النّزول يـكون المعنى على لســـان جبـريل عليه السّـلام : وما نتنزّل نحن الملائكة إلا بأمر ربّك جلّ وعـلا. له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، ومـا خلفنا من أمر الدّنيا، وما بين ذلك بين النّفخـتين. وما كان ربّك ناسياً لك يا محـمّد حينما يتأخّر الوحي فلا يعزب عن الله تعـالى مثقال ذرّةٍ فى السماوات ولا فى الأرض.

و وراء ذلك يصحّ أن يكون الحديث هنا موصـولاً بما قبله، وأنّه على ألسنة الأتقياء الّـذين يدخلون بفضل الله تعالى جنّات النّعـيم. إنّهم يجىء على لسانهم القول : ومـا نتنزل فى جنّات النّعيم إلا بأمر ربّك جلّ وعـلا الّذى له وحده دون سواه الخلق والأمر. له مـا بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمـر الدّنيا وما بين النّفختين وما كان ربّك أيُّها الإنسان ذا نسيان، بل أحاط علماً بكلّ شىء[7].

إنّه جلّ وعلا ربّ السّـماوات والأرض وما بينهمـا فاعبده وحـده لا شريك

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٩.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٩.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٩. و ٧٨.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧٩.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٠.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٠.

(٧) انظر هنا الكشاف ٢/ ٢٨٥ والبحر المحيط ٦/ ٢٠٤.

له، واصبر نفسك لعبادته آناء اللّيل وأطراف النّهار، هل تعلم سميّاً وشبيهاً يستحقّ أن يشرك معه فى العبادة، هل تعلم له سميّاً خليقاً بأن يسمّى باسمه وهو جلّ وعلا القادر على كلّ شىء وغيره العاجز عن كلّ شىء!

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

ويقول الإنسان : الكافر الّذى لا يصدّق بالبعث بعد الموت[1].

فوربّك لنحشرنّهم والشّياطين: فوربّك يا محمّد لنحشرنّ هؤلاء القائلين أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم مقرّنين بأوليائهم من الشّياطين[2].

جثيّا : بروكاً على ركبهم[3] جثى على ركبتيه جُثُوّاً وجثيّا فهو جاث، نحو عتا يعتو عتوّاً وجمعه جُثِيّ نحو باكٍ وبُكِيّ[4].

من كلّ شيعة : الشّيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور[5].

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٠.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٠.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٧.

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «جثا» ٨٨.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨١.

عتيّا : عتوّا[1] .

أولى بها صليّا : أولى بالخلود فى جهنّم[2].

وإن منكم إلاّ واردها : وما منكم أحد[3] روى ابن جرير[4] عن عبد الله قوله : ﴿وإن منكم إلاّ واردها﴾ قال : الصّراط على جهنّم مثل حدّ السيف فتمرّ الطّبقة الأولى كالبرق والثّانية كالرّيح والثّالثة كأجود الخيل والرّابعة كأجود البهائم، ثمّ يمرّون والملائكة يقولون : اللّهمّ سلّم سلّم، ولهذا شواهد فى الصّحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبى سعيد وأبى هريرة وجابر وغيرهم من الصّحابة رضي الله عنهم[5].

كان على ربّك حتما : الحتم القضاء المقدّر[6].

مقضيّا : فُصِل فيه فصار بحيث لا يمكن تلافيه[7].

ويقول الإنسان الكافر أئذا ما متّ وغدوت عظاماً ورفاتاً لسوف أُخْرج حيّاً وأُبْعَث خلقاً جديداً!. ويُسْأل ذلك المنكر للبعث فى أسلوب الاستفهام الإنكارى : أو لا يذكر ذلك الإنسان الّذى يستكثر البعث ولا يستطيع أن يستسيغه أو لا يريد أن يستسيغه أنّا خلقناه من قبل حينما لم يكن شيئاً ذا بالٍ فكان نطفةً. وقبل ذلك كان أبوه آدم طينا. لقد جرت العادة فى عرفنا أنّ إعادةً صنع الشيء

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨١.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨١.

(٣) الجلالين.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٣.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٢.

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «حتم» ١٠٧.

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى : « قضى» ٤٠٧.

أهون مـــــن إبداعـه. فكيف يكون هذا القانون جـائزاً فى حقّنا وغيـر جائزٍ فى حقّ الفعّال لما يريد الّذى يستوى فى حـقّه البدء والإعادة جلّ وعلا. إنّ الكافر إذا أصرّ على كفـره فإنّ مصيره مـع بقيّة الكافرين أمثـاله النّار وبئس القرار. وهنا لا يكون التّعـبير عـاديّاً بل فى أسلوب القسم المؤكّـد. فوربّك أيّهـا الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لنحشرنّهم يوم القـيامة والشّياطين قرناءهم، ثمّ لنحضرنّهـم جميعاً حول جهنّم جاثين على الرّكب. ثمّ لننزعنّ من كلّ أمّةٍ من الأمم متحزّبةٍ على أمرٍ أيّهم أشدّ على الرّحمن عتواً وطغيانا. ثمّ لنحن أعلم بالّذين هم الأولى بالاصطلاء بنار جـهنّم والخلود فيـها. ومـا منكم من أحـدٍ أيّها النّاس إلاّ وارد جـهنّم وذلك بالعبور على الصّراط الممدود عليها. كان ذلك على ربّك حتماً وواجباً قد مضى به القضـاء ونفذ به الحكم. ثمّ ننجيّ الّذين اتّقـوا من النّار بالعبـور على الصّراط فى سرعةٍ تتّفق ومدى صلاح كلّ إنسان. أمّا الظّالمون فإنّهم يسقطون من على الصّراط فى جهنّم الّتى يُتْركون فـيها جاثين على ركبهم، وتلك هيئـة الإنسان حينما يكون فى كربٍ شديد، وعذابٍ أكـيد.

(٨)

« مظاهر من ضلال الكافرين، وزيادتهم عمىً وعذابهم، وزيادة المتّقين هدىً وثوابهم »

الآيات (٧٣ - ٩٨)

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن
كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

خيرٌ مقاما : يعنى بالمقام موضع إقامتهم فهي مساكنهم ومنازلهم[1].

وأحسن نديّا : النّديّ هو المجلس. يقال: هو فى نديّ قومه وفى ناديهم بمعنىً واحد[2].

من قرن : من أمّة[3].

أحسن أثاثا : متاع منازل[4].

ورئيا : أحسن منهم منظراً وأجمل صورا[5].

قل من كان فى الضّلالة فليمدد له الرّحمن مدّا : قل يا محمّد لهؤلاء المشركين بربّهم القائلين إذا تتلى عليهم آياتنا : أيّ الفريقين منّا ومنكم خيرٌ مقاماً وأحسنُ نديّا، من كان منّا ومنكم فى الضّلالة

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٧.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٧

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٤ والجلالين.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٨

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ٨٨

جائراً عن طريق الحقّ سالكاً غير سبيل الهدى: ﴿فليمدد له الرّحمن مدّا﴾ فليطوّل له الله فى ضلالته وليمله فيها إملاء[1].

وخيرٌ مردّا : أي عاقبةً ومردًّا على صاحبها[2].

إنّ آيات الكتاب العزيز البيّنات إذا تُتْلَى على كفّار مكّة، الّذين سوف يصلون نار جهنّم إن لم يتوبوا إلى الله تعالى توبةً نصوحاً. قالوا للّذين آمنوا : أي الفريقين منّا ومنكم خيرٌ منزلاً وأحسن ناديا. وإنّما قال الكافرون ذلك لأنّهم أغنياء ولأنّ المؤمنين فقراء. وقد خدعهم الشّكل والمنظر عن اللّبّ والجوهر. ولمّا كان ربّ العزّة قد أهلك من كان أكثر من كفّار مكّة أثاثاً ومنظراً، منزلاً ورواءً فإنّه عليه الصّلاة والسّلام يؤمر بأن يقول لأولئك المخدوعين عن حقيقة أقدارهم : من كان فى الضّلالة منّا أو منكم فليمدد له الرّحمن مدّا، وليزده الله تعالى عمىً إلى عماه. وليس بخافٍ أنّ هذا الدّعاء نوعٌ من المباهلة وسؤال الله تعالى أن يأخذ بالعذاب الشّديد فى الأولى الفريق الضّالّ من الفريقين. حتّى إذا رأى أولئك الضّالون عذاب الحياة الأولى العاجل أو عذاب الآخرة الآجل فسيعلمون آنذاك أيّ الفريقين شرٌّ مكاناً على الحقيقة وأضعف جندا. وفى مقابل زيادة الله تعالى الكافرين عمىً إلى عماهم يزيد الله تعالى المؤمنين المتّقين هدىً إلى هداهم. والأعمال الصّالحات الباقيات على الحقيقة خيرٌ عند ربّك أيّها الرّسول الكريم وأيّها المؤمن جزاءً وثواباً، عاقبةً ومردّا.

والحقيقة أنّه بتحوّل الفاصلة من كونها ياءً إلى كونها دالاً نودّ أن نشير بإيجاز إلى بعض مظاهر إعجاز هذا الكتاب العزيز فى مجال ظاهرة تلاؤم الأصوات، وذلك فى هيئة نقاط.

١ - أكثر فواصل السّورة الكريمة دوراناً هي فاصلة الياء الّتى جاءت فى اثنتين وستّين آيةً من آيات سورة مريم الكريمة الثّمان والتّسعين.

٢ - جاءت الياء مشّددة فى إحدى وستّين آية، وجاءت مفردةً فى الآية

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٥.

الكريمة الأخيرة وذلك فى الآية الكريمة الرّابعة والسّبعين. قال عزّ من قائل : ﴿وكم أهلكنا قبْلَهم مِنْ قَرْنٍ هم أحسن أثاثاً ورئيا﴾.

٣ - بعد الحديث عن عيسى ابن مريم عليه السّلام جاءت سبع آيات كريماتٍ بمثابة التّعقيب وتقرير غلوّ بعض أتباع السّيّد المسيح عليه السّلام، وتبيين معالم الصّراط المستقيم. وهذه الآيات السّبع الكريمات هى الآيات (٣٤-٤٠) وهذه الآيات الكريمات السّبع فى فاصلتي النّون والميم. ويلاحظ أنّ هذه الآيات السّبع الكريمات تسبقها وتلحقها آيات كريماتٌ فى فاصلة الياء المشدّدة. حتّى إذا جاءت الآية الكريمة الأخيرة فى فاصلة الياء جاءت وحدها مفردة وغير مشدّدة. وفى ذلك تنبيهٌ إلى أنّ هذه هى آخر الآيات الكريمات فى فاصلة الياء.

٤ - الآيات الكريمات السّبع فى فاصلتي النّون والميم يجىء قبلها وبعدها إحدى وثلاثون آيةً كريمةً بالتّمام والكمال فى فاصلة الياء. وتفسير ذلك أنّه يجىء قبل هذه الآيات السّبع الكريمات ثلاثٌ وثلاثون آية، منها الآية الكريمة الأولى وهي فى الحروف المقطعة : ﴿كهيعص﴾ ومنها الآية الكريمة التّاسعة الّتى تنتهى فى فاصلة الهمزة. قال تعالى : ﴿قال كذلك قال ربّك هو عليّ هيّنٌ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ وبذلك يبقى لدينا إحدى وثلاثون آيةً فى فاصلة الياء قبل الآيات السّبع الكريمات. كما أنه يجىء بعد هذه الآيات السّبع الكريمات وحتّى الآية الكريمة الرّابعة والسبعين الّتى تنتهى بانتهائها آيات فاصلة الياء، يجىء أربعٌ وثلاثون آية، منها ثلاث آياتٍ كريماتٍ تنتهى كلّها بفاصلة الهمزة بل بلفظة : ﴿شيئا﴾ وهي ذات اللفظة الّتى جاءت همزتها فاصلةً من ذى قبل. وبذلك نكون بصدد إحدى وثلاثين آيةً كريمةً بالتّمام والكمال جاءت فيها فاصلة الياء بعد الآيات الكريمات السّبع التّعقيبيات. فسبحان الله تعالى القادر على كلّ شىء الّذى لا يعجزه شىءٌ فى الأرض ولا فى السّماء. وهذه الآيات الكريمات الثّلاث الّتى تنتهى كلٌّ منها بلفظة : ﴿شيئا﴾ هي الآية الكريمة الثّانية والأربعون. قال تعالى : ﴿إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يُبْصِر ولا يُغْنِى عنك شيئا﴾ والآية

قال تعالى : ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلمون شيئاً﴾ والآية الكريمة السّابعة والسّتّون. قال تعالى : ﴿أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه مِنْ قبل ولم يك شيئاً﴾.

٥ - إذا كانت الياء المفردة فى آخر آيات فاصلة الياء قد أشعرت بتحوّل الفاصلة من الياء إلى حرفٍ آخر، هو الدّال، فإنّ أولى الآيات الكريمات فى فاصلة الدّال الغالبة على الآيات الكريمات حتّى نهاية السّورة الكريمة، قد جاءت فيها مجموعةٌ من الإشعارات على تحوّل الفاصلة من ناحيةٍ، وعلى كونها دالاً من ناحيةٍ أخرى، وهي على النّحو التّالى.

أ - يجيء فى هذه الآية الكريمة الأولى حرف الدّال ستّ مرّات بأكثر من مجيء هذا الحرف فى أيّ آيةٍ كريمةٍ أخرى حتّى نهاية السّورة الكريمة.

ب - يجيء فى هذه الآية الكريمة الأولى حرف الضاد، وهو من جنس حرف الدّال، ثلاث مرّات، بأكثر من مجيء هذا الحرف فى أيّ آيةٍ كريمةٍ أخرى حتّى نهاية السّورة الكريمة.

جـ - بين يدي فاصلة الدّال فى نهاية الآية الكريمة تجيء فاصلة الدّال داخليّاً فى أثناء الآية الكريمة وذلك فى اللّفظ : ﴿مدّا﴾ وفى ذلك المجيء لحرف الدّال داخليّاً ترشيحٌ وتمهيدٌ لمجيء حرف الدّال فاصلة وذلك فى اللّفظ : ﴿جندا﴾ وإنّ من ألطف ما يلاحظ على الفاصلة الدّاخليّة : ﴿مدّا﴾ أنّ الدّال فيها مشدّدة، وعلى الفاصلة الخارجيّة : ﴿جندا﴾ أنّ الدّال فيها مفردة غير مشدّدة. إنّ هذه الفاصلة الأولى الخارجيّة الدّاليّة المفردة فى مقابل الفاصلة الأخيرة الخارجيّة اليائيّة المفردة. وهذا ضربٌ من التّوازن الصّوتيّ والتّجانس الإيقاعيّ فى الموضعين. وحينما يصحّ القول بأنّنا فى هذه الآية الكريمة الأولى فى فاصلة الدّال كأنّنا بصدد فاصلتين إحداهما خارجيّة وأخراهما داخليّة، وسبق أن لاحظنا التّوازن بين الفاصلتين المفردتين الخارجيّتين الدّال والياء، يصحّ بناءً على ذلك القول بأنّ الفاصلة الدّاليّة الدّاخليّة المشدّدة فى مقابل الفاصلة اليائيّة المشدّدة الأخيرة من الآيات الكريمات الّتى جاءت فيها الفاصلة

ياءً مشدّدة، وهذه الآية الكريمة الّتى فيها الفاصلة اليائيّة المشدّدة الأخيرة هي الآية الكريمة الثّالثة والسّبعون. وهذه هي الآيات الكريمات الثّلاث الّتى فيها على التّوالى آخر فاصلة يائيّة مشدّدة، وآخر فاصلة يائيّة على الإطلاق وهي مفردة، وأوّل فاصلة داليّة مفردة بين يديها فاصلةٌ داليّةٌ داخليّةٌ مشدّدة. قال عزّ من قائل[1] : ﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتنا بيّنات قال الّذين كفروا للّذين آمنوا أيّ الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسن نديّا. وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثاً ورئيا. قل من كان فى الضّلالة فليمدد له الرّحمن مدّا. حتّى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذابَ وإمّا السّاعةَ فسيعلمون من هو شرٌّ مكاناً وأضعف جندا﴾[2].

(١) سورة مريم ٧٣-٧٥.
(٢) انظر هنا : تأملات فى سورة مريم للمؤلّف ١٨٩-١٩٧.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

سبب النّزول.

روى الإمام أحمد عن خبّاب بن الأرتّ قال : كنت رجلاً قَيْناً[1] وكان لي على العاص بن وائل السَّهميّ أبى عمرو بن العاص[2] دينٌ فأتيته أتقاضاه منه فقال : لا والله لا أقضيك حتّى تكفر بمحمّد. فقلت لا والله لا أكفر بمحمّد ﷺ حتّى تموت ثمّ تبعث. قال : فإنىّ إذا متّ ثُمَّ بعثت جئتنى ولي ثَمَّ مالٌ وولد فأعطيتك. فأنزل الله : ﴿أفرأيت الّذى كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاً وولدا﴾ إلى قوله : ﴿ويأتينا فردا﴾ أخرجه صاحبا الصّحيح وغيرهما من غير وجه[3].

أم اتّخذ عند الرّحمن عهدا : عن ابن عبّاس : قال لا إله إلاّ الله فيرجو بها[4] وآمن بالله وعمل بما أمر به وانتهى عمّا نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهدٌ أن يؤتيه ما يقول من المال والولد[5].

أفرأيت أيّها الرّسول الكريم وأيّها الإنسان ذلك الّذى كفر بآيات كتابنا العزيز وقال على جهة الاستهزاء : لأوتينّ يوم القيامة مالاً وولدا. وفى أسلوب الاستفهام الإنكاريّ يكون السؤال : أطّلع ذلك المنكر ليوم القيامة المستهزىء به الغيب فعلم أنّه سوف يؤتَى يوم القيامة مالاً وولدا! أم أنّه اتّخذ عند الله تعالى الرّحمن الرّحيم عهداً بأن شهد ألاّ إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله، وعمل بمقتضى ما أمر به الدّين الحنيف ونهاه عنه، فهو ينتظر الثّواب من الله تعالى يوم القيامة

---

(١) قيناً : حَدّاداً.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٥ وانظر فتح البارى ٨/ ٤٢٩-٤٣١ الأحاديث ٤٧٣٢-٤٧٣٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٦.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٢.

يوم الجزاء! ولمّا كان ذلك المستهزىء لم يطّلع الغيب ولم يتّخذ عند الله تعالى عهداً فإنّ السّياق يقرّر ذلك فى القول : ﴿كلاّ﴾ والمعنى أنّ الأمر ليس كما يقول ذلك الكافر المستهزىء، بل إنّ الله تعالى يأمر بكتابة ما يقول بواسطة الملَكَ الموكّل بكتابة السيّئات، ويمدّ له جلّ وعلا من العذاب الأليم مدّا، ويرثه عزّ وجلّ ما يقول من المال والولد وبذلك لن يكون له مالٌ وولدٌ فى الأولى كذلك. ويتأكد هذا المعنى حينما يجىء القول : ﴿ويأتينا فردا﴾ وعليه فالكافر المستهزىء ليس له مالٌ وولدٌ فى الآخرة لأنّه لم يتّخذ له عهداً عند الله تعالى بإعلان شهادة التّوحيد، وليس له مالٌ وولدٌ فى الأولى كذلك، لأنّه بوفاته يترك المال والولد. وبذلك يكون الكافر المستهزىء قد خسر الأولى والآخرة.

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

ويكونون عليهم ضدّا : عدوّا[1] أي منافين لهم[2].

واتّخذ الكافرون من دون الله تعالى آلهةً يعبدونهم كي يكونوا لهم عزّاً وسنداً، يقرّبونهم من الله تعالى زُلفَى حسب زعمهم ويصرفون عنهم العذاب. ويكون التّبيين الحقيقيّ للعابدين والمعبودين وذلك بنفى تلك الأوهام عن العابدين : ﴿كلاّ﴾ إنّ الأمر ليس كما يزعم أولئك الكافرون الّذين يبتغون العزّة عند الآلهة الزّائفة. والحقيقة أنّ تلك الآلهة سوف تكفر بعبادتهم لها وسوف يلعن بعض الفريقين بعضه الآخر، وسوف تتحوّل الآلهة الزّائفة المعبودة بدون وجه حقّ من النّقيض إلى النّقيض. إنّهم يريدون الآلهة الزّائفة وليّاً وسندا. وإنّها سوف تنقلب عليهم يوم القيامة عدوّا، وتكون عليهم ضدّا.

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٤.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «ضد» ٢٩٣.

أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

تؤزّهم أزّا : تحرّكهم بالإغواء والإضلال فتزعجهم إلى معاصى الله وتغريهم بها حتّى يواقعوها. أزّا : إزعاجاً وإغواء[1].

إنّما نعدّ لهم عدّا : نعدّ أعمالهم كلّها ونحصيها حتّى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ولم نترك تعجيل هلاكهم لخيرٍ أردناه بهم[2].

وفدا : ركبانا[3].

وردا : عطاشا[4].

إلاّ من اتّخذ عند الرّحمن عهدا : لكن من اتّخذ عند الرّحمن عهداً يملكه[5] قال ابن عباس : العهد شهادة ألاّ إله إلاّ الله، ويتبرّأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلاّ الله[6].

ألم تر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم أنّا أرسلنا الشياطين وسلّطانهم على الكافرين تؤزّهم أزّاعنيفاً وتهزّهم هزّاً فظيعاً وتهيجهم وتزعجهم كي يأتوا المنكرات ويرتكبوا الموبقات.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٤.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٥.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٦.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٦.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٧.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٧.

فلا تعجل عليهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم وليس إمهالهم إهمالاً، ولكنّه استدراجٌ لهم إن لم يعودوا إلى جادّة الصّواب، وها نحن أولاء نَعُدُّ لهم سيّئاتهم عداً، ونحصى أعمارهم وأعمالهم ودقّات قلوبهم كي ينالوا يوم القيامة جزاءهم الأوفى. وفى ذلك اليوم نحن نحشر المتّقين إلينا ركبانا، ونسوق المجرمين إلى جهنّم عطاشا. ولا يملك أحدٌ الشّفاعة فى ذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود إلاّ من اتّخذ عند الله تعالى عهداً، فشهد ألاّ إله إلا الله، وامتثل لأوامر الله تعالى واجتنب نواهيه.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

لقد جئتم شيئاً إدّا : لقد جئتم أيّها النّاس شيئاً عظيماً من القول منكرا[١].

يتفطّرن : يتشقّقن[٢].

هدّاً : سقوطا[٣] وهدماً[٤].

أن دعوا للرّحمن ولدا : لأن دعوا للرّحمن ولدا[٥] ومن أجل أن دعوا[٦].

وما ينبغى للرّحمن أن يتّخذوا ولدا : وما يصلح لله أن يتّخذ ولدا[٧].

إن كلّ من فى السّماوات والأرض : ما كلّ من فى السّماوات والأرض[٨] وما جميع من فى السّماوات من الملائكة وفى الأرض من البشر

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٩.
(٦) الجلالين
(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٩.
(٨) الجلالين.

والإنس والجـــنّ[1].

وقال مشركـو اليهود والنّصارى والعرب اتّخذ الرّحمن ولدا، فـقالت اليهود عزيزٌ ابن الله، وقالت النّصارى المسيح ابن الله، وقالت العرب الملائكة بنات الله : ﴿كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا﴾[2] ويتّم فى السّياق التّحوّل من استعمال ضمير الغائبين إلى استعمال ضمير المخاطبين، وهو ما يسمّى بأسلوب الالتفات، هذا إلى التّحوّل من ضميـر الغائب إلى ضمير المخاطب الأقوى. وكأنّ المشركين يخـاطبون وجهـاً لوجه ويقال لـهم : لقد جئـتم شيئـاً عظيماً فظيـعا. ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تجيء فـيـهـا جملة : ﴿جـئـتم﴾ الّتى تدلّ على القـرب ومزاولة المجيء وحـصول الفعل. وهذا القول تكاد السّـماوات يتفطّرن ويتشـقّقن منه، وتكاد الأرض تنشقّ وتتـصدّع، وتكاد الجـبال تخـرّ هدّا وتسقط هدمـا. من أجل أن دعوا للرّحمن الرّحـيم ولدا، وزعموا أنّه عزّ وجلّ قد اتّخذ صـاحبةً أتى منهـا الولد. وما يصحّ ولا يـصلح أن يتخـذ الرّحمـن ولداً وهو الغنيّ عن الولد والصّاحـبة والشّـريك، الفعّـال لما يريد الّذى لا يعجـزة شيءٌ فى الأرض ولا فى السّـماء. إنّه مـا من مخلوقٍ فى الـسّمـاوات من الملائكة وفى الأرض من الإنس والجنّ إلاّ آتى الرّحمن يوم القـيامة عبـداً خاضعـاً ذليلاً. لقد أحصـاهم عزّ وجلّ إحصاءً وعدّهم عـدّا، وكلّهم آتيه عزّ وجلّ يوم القيامة فرداً كـما خلقهم عزّ وجلّ أوّل مرّة فرادى حفاةً عُراةً غُرْلا.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ٩٩.

(٢) سورة الكهف ٥

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سيجعل لهم الرّحمن ودّا : فى الدّنيا فى صدور عباده المؤمنين(١). وحبّا(٢) روى الأئمّة أحمد والبخاريّ ومسلم والتّرمذيّ عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال : إنّ الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : يا جبريل إنىّ أحبّ فلاناً فأحبّه. قال : فيحبّه جبريل. قال : ثمّ ينادى فى أهل السّماء إنّ الله يحبّ فلاناً فأحبّوه قال : فيحبّه أهل السّماء. ثمّ يوضع له القبول فى الأرض. وإنّ الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال : يا جبريل إنىّ أبغض فلاناً فأبغضه. قال : فيبغضه جبريل. ثمّ ينادى أهل السّماء : إنّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه. قال : فيبغضه أهل السّماء ثمّ يوضع له البغضاء فى الأرض(٣) وقال التّرمذيّ : حسنٌ صحيح(٤).

قوماً لدّا : اللُّدّ جمع الألدّ، وهو الخصيم الشّديد التّأبّى(٥) وأصل الألدّ الشّديد اللَّدَد أي صفحة العنق وذلك إذا لم يمكن صرفه عمّا يريده(٦)

أو تسمع لهم ركزاً : صوتاً(٧).

إنّ الّذين آمنوا بالله تعالى وآمنوا برسوله محمّد بن عبد الله ﷺ وعملوا الصّالحات بمقياس الإسلام وأرادوا بها وجه الله تعالى سيجعل الله سبحانه وتعالى

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٠٠..

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١٤٠.

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «لدد» ٤٤٩.

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «لدد» ٤٤٩

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٠٢.

لهم وداً وحبّاً، وسيُلقى الله عزّ وجلّ المحبّة لهم فى قلوب عباده ثمرةً شهيّةً لحبّ الله تعالى لهم ورضاه عنهم. وهذا القرآن الكريم، وقد جاءت الإشارة إليه ضمناً فى ثانى آيات السّورة الكريمة وفى السّورة الكريمة مرّاتٍ عدّة، قد يسّره الله تعالى بلسان المصطفى ﷺ وسهّله بلسان عربىّ مبين، ليبشر المصطفى ﷺ به المتّقين الّذين يدخلون جنّات النّعيم، ولينذر به القوم الكافرين المستهزئين المعاندين الشّديدى الخصومة، ثمرةً نكدةً لالتواء نفوسهم وقسوة قلوبهم وغلظ أكبادهم. إنّ على هؤلاء الكافرين المعاندين أن يعودوا إلى جادّة الصّواب وإلاّ كان مصيرهم مصير الأمم السّابقة المكذّبة الّتى دمّرها الله تعالى تدميرا. وأنت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم، وأنت أيّها الإنسان، هل تحسّ منهم من أحد وتشعر به؟ هل تسمع لواحدٍ منهم صوتاً أو تتبيّن لواحدٍ منهم أىّ دليلٍ على حياة؟ الجواب بالنّفي. إنّه السّكون التّامّ والصّمت المطبق. إنّهم صاروا جميعاً إلى ما شاء الله تعالى لهم أن يصيروا إليه. فعلى الكافرين فى كل زمانٍ ومكانٍ أن يأخذوا العبرة، فالسّعيد من وُعِظ بغيره.

ثالثاً:

سـورة طـه

سُورَةُ طٰهٰ

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طٰهٰ ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ

بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾
إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ

عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا
أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾
قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا
وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا

خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟

كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾
وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ

جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا

أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾
كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ

بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ
وَمِنْ ءَانَآئِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ
وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

بين يدي
التّفسير

((١))

((الله تعالى الخلاّق السّميع العليم أنزل القرآن الكريم تذكرةً للعالمين))

الآيات (١-٨)

تبدأ سورة طه المكّية الكريمة بحرفين من الحروف المقطّعة : ﴿طه﴾ ومن العلماء من قال فى تفسير الحروف المقطّعة، الله أعلم بمراده بذلك، ومنهم من ذهب إلى أنّها امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم الّذى تتألّف ألفاظه من هذه الحروف ولكنّ القرآن الكريم نسيجُ وَحْدِه. ومن العلماء من ذهب إلى أنّ : ﴿طه﴾ من أسمائه ﷺ، وكذلك يس. والله تعالى أعلم. وعلى عادة السّور التّسع والعشرين الّتى تبدأ بهذه الحروف المقطّعة فى الحديث عن القرآن الكريم على الفور أو التّراخى تتحدّث السّورة الكريمة عن القرآن الكريم. إنّ ربّ العزّة والجلال ما أنزل القرآن الكريم على المصطفى ﷺ ليشقى به عليه الصّلاة والسّلام بأن يقوم اللّيل حتّى تتفطّر قدماه، لكن أنزله الله تعالى تذكرةً وموعظةً لمن يخشى الله تعالى. إنّ هذا القرآن الكريم نزّله تنزيلاً يليق برفيع منزلته الله تعالى الّذى خلق الأرض وخلق السّماوات العلى، الرّحمن الرّحيم الّذى استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله واستعلى. إنّ الله سبحانه وتعالى مالكُ الملك فله ما فى السّماوات وما فى الأرض وما بين السّماوات والأرض وما تحت الثّرى. وإنّ الله سبحانه وتعالى هو السّميع العليم، يسمع السّرّ كما يسمع الجهر. ويعلم ما هو أخفى من السّرّ كما يعلم السّرّ والجهر. إنّه هو الله الّذى لا إله إلاّ هو، فلا يستحقّ العبادةَ أحدٌ سواه. وله جلّ وعلا الأسماءُ الحُسْنى والصّفاتُ العُلى سبحانه.

((٢))
((موسى عليه السّلام
وفرعون الطّاغية))
الآيات (٩-٩٨)

بقصد تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ وأفئدة المؤمنين فى هذه الفترة المكّيّة يكون فى السّورة الكريمة حديثٌ مستفيضٌ عن موسى عليه السّلام وفرعون مصر الطّاغية، بسبب وجه الشّبه القويّ بين ملابسات الدّعوة فى تلك المرحلة لكلٍّ من الرّسولين الكريمين عليهما صلوات الله تعالى وسلامه. وبقصد لفت انتباه المصطفى ﷺ إلى المعانى الّتى سوف تعرّج عليها السّورة الكريمة لتحقيق غرض التّسلية وتثبيت الأفئدة يبدأ السّياق بسؤال المصطفى ﷺ كما جاء فى الآية الكريمة : ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ والمعنى : وهل أتاك يا محمّد خبر موسى بن عمران عليه السلام؟ ويستمرّ الحديث عن موسى عليه السّلام حين رأى عليه السّلام ناراً وهو متّجهٌ بأهله من مدين إلى مصر الّتى فرّ منها بعد أن قتل القبطيّ على نحو ما تبيّن بتفصيل فى سورة القصص. وكأنّ موسى عليه السّلام يعود إلى مصر لأنّ تهمة القتل قد سقطت عنه لقدم العهد فقد مكث فى أهل مدين زهاء عشر سنوات. ولمّا كان موسى عليه السّلام قد ضلّ طريقه بشبه جزيرة سيناء فى تلك الّلية المطيرة الشّاتية وتعذّر عليه إبقاء النّار الّتى اشتدّت الحاجة إليها ورأى ناراً على بُعْدٍ منه فإنّه عليه السّلام يأمر أهله بالبقاء فإنّه أبصر ناراً لعلّه يأتيهم منها بشُعلةٍ فى طرف عودٍ للدّفء أو لعلّه يجد على النّار من يرشده إلى الطّريق الّذى يوصله إلى غايته. فلمّا أتى موسى النّار ناداه الحقّ جلّ وعلا بصوتٍ سمعه عليه الصّلاة والسّلام من كلّ الجهات : يا موسى إنّى أنا الله ربّك خالقكَ ومربّيك بنعمى فاخلع نعليك تعظيماً للبيعة إنّك بالوادى المطهّر المبارك طوى. وأنا اخترتك فاستمع بكلّ وعيٍ لما يوحَى إليك. إنّنى أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدنى وحدى لا شريك لى وأقم الصّلاة لتذكرنى فيها. إنّ السّاعة آتيةٌ أكاد أخفيها فلا أُظْهِرُ عليها أحداً غيرى، لتجزى كلُّ

نفسٍ يوم القيامة بما تعمل فى الدّنيا من خيرٍ تثاب عليه أو شرٍّ تعاقب عليه. فلا يمنعنّك من الاستعداد للسّاعة من لا يصدّق بها واتّبع هواه فتهلك كما هلك.

ولمّا كان موسى عليه السّلام قد رعى الغنم زهاء عشر سنوات لشعيبٍ عليه السّلام وكان معه ماشيته الخاصّة به وبأهله فى هذه الرّحلة وكانت العصا ضروريّةً للرّاعى لأغراضٍ شتّى وكان مع موسى عليه الصّلاة والسّلام عصاه فإنّ السّياق يعرّج على الحديث عن العصا وملابساتها. إنّ الحقّ جلّ وعلا يسأل موسى عليه السّلام عن تلك التّى بيمينه. وقد فهم عليه السّلام أنّ السّؤال يشمل كذلك منافع العصا فى حقّه عليه السّلام فأجاب بأنّ الّتى فى يمينه عصاه الّتى يعتمد عليها فى أثناء المشى ويحرّك بها الشّجر كي يسقط الورق على الغنم وله فيها أغراضٌ أخرى من توجيهٍ للقطيع ودفعٍ للأذى وحملٍ للأشياء الى غير ذلك من منافع. قال الحقّ جلّ وعلا : ألق عصاك يا موسى، ففعل فإذا العصا حيّةٌ تسعى وثعبانٌ يجرى. قال الحقّ جلّ وعلا : خذها ولا تخف يا موسى سنعيدها لهيئتها الأولى عصاً كما كانت ففعل موسى ما أمره الحقّ جلّ وعلا بفعله. وأمره عزّ وجلّ كذلك بأن يدخل يده من جيب الثّوب الّذى يدخل رأسه فيه حينما يلبس الثّوب حتّى تصل كفّه إلى إبطه ويضمّ جانبه على كفّه ويخرج يده فتخرج بيضاء مشرقةً كالشّمس من غير مرضٍ ولا برصٍ آيةً أخرى لموسى عليه السّلام على أنّه رسول ربّ العالمين. إنّ موسى عليه السّلام يريه الله تعالى هاتين الآيتين من بين الآيات الكبرى الّتى سوف يؤيّده الله تعالى بها.

ويؤمَر موسى عليه السّلام بأن يذهب إلى فرعون مصر، طاغية زمانه وكلّ زمان ويدعوه إلى سبيل ربّه عزّ وجلّ. ولمّا كان موسى عليه السّلام على علمٍ بفرعون وملئه وبالمهمّة الشّاقّة الّتى يكلّف بها فإنّه يفرّ إلى أرحم الرّحمن يسأله العون والتّأييد. إنّه يدعو ربّه عزّ وجلّ بأن يشرح صدره ويوسّعه لقبول الرّسالة، وبأن يسهّل عليه أمره، وبأن يحلل عقدةً من لسانه كي يفقهوا قوله، وبأن يجعل له وزيراً من أهله، هارون شقيقه عليهما السّلام، وبأن يقوّي بهارون ظهره، وبأن